بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

* * *

سلسلة في التربية الإسلامية

التربية
برؤية قرآنية

تصوُّر ومبادئ ومنهج

دراسة في أصول التربية المستنبطة من القرآن الكريم،
عبر أربعة أبواب في التأسيس والتدرُّج والقدوة والاستراتيجية التربوية

تأليف

عبد الخالق نتيج

1446 هـ | 2025 م

* * *

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾

(سورة طه: 25-28)

إلى كل مَن يحمل هَمَّ التربية في قلبه،

ويسعى إلى بناء جيل يقرأ القرآن ويتربَّى على هديه.

المقدمة

- - -

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المربِّين، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن التربية من أشرف العلوم وأعلاها شأنًا، إذ هي عماد بناء الإنسان وأساس نهضة الأمم؛ وقد أولاها القرآن الكريم عناية فائقة، وأرسى لها مبادئ راسخة، ورسم لها منهجًا واضحًا يجمع بين الشمول والعمق والتوازن.

وهذا الكتاب — الذي بين يديك — ثمرة تدبُّر ومطالعة في آيات الكتاب العزيز، وتأمُّل فيما أودعه الله فيه من حكمة تربوية بالغة؛ فجاء في أربعة أبواب متكاملة، كلٌّ منها يُضيء جانبًا من جوانب التربية القرآنية:

- **الباب الأول:** يضع التصوُّر الكلي للتربية في ضوء القرآن الكريم، ويستعرض المبادئ الأساسية التي استنبطها العلماء من آياته الكريمة.
- **الباب الثاني:** يُبيِّن أن التربية عملية استراتيجية منسَّقة تمتد عبر مراحل الحياة كافة، وتتضافر فيها جهود الأسرة والمدرسة والمجتمع.
- **الباب الثالث:** يُجلِّي مبدأ التدرُّج في التربية القرآنية، وفوائده، وسُبُل تطبيقه في الواقع المعاصر.
- **الباب الرابع:** يكشف عن القدوة بوصفها أقوى أدوات التربية وأعمقها أثرًا في النفوس، مع استعراض النماذج الإنسانية الخالدة التي قدَّمها القرآن.

لم يكن هدفنا الاستيعاب الشامل لكل ما ورد في القرآن الكريم حول التربية، فذلك بحر لا ساحل له؛ وإنما أردنا أن نُقدِّم مدخلًا قرآنيًا منهجيًا يُعين على فهم التربية فهمًا صحيحًا، ويُلهم تطبيق مبادئها في الحياة اليومية.

ونحن إذ نُقدِّم هذا الجهد المتواضع، نسأل الله العلي القدير أن يجعله نافعًا، وأن يُبارك فيه، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، إنه سميع مجيب.

المؤلف

عبد الخالق نتيج

1446 هـ / 2025 م

الفهرس

الباب الأوَّل

تصوُّر ومبادئ أساسية

نظرة شاملة في مفهوم التربية القرآنية وأُسسها التي تقوم عليها

التربية من أسمى الوظائف الإنسانية وأرفعها شأنًا، وقد اعتنى بها القرآن الكريم عناية بالغة، إذ يمكن القول إن القرآن في مجمله كتاب تربية، يُوجِّه الإنسان نحو الكمال الروحي والأخلاقي والاجتماعي، عبر منظومة متكاملة من المبادئ والأساليب والنماذج.

وإن المتأمل في آيات القرآن الكريم ليجد أن التربية فيه ليست مجرد قواعد جامدة أو أوامر مجرَّدة، بل هي رؤية متكاملة تشمل الإنسان في كل أبعاده: الروحية والعقلية والنفسية والاجتماعية. والقرآن يتناول هذه الأبعاد جميعها في توازن دقيق وانسجام بديع.

أولًا: مفهوم التربية في القرآن الكريم

التربية في القرآن الكريم مفهوم ثري متعدد الأبعاد، يمكن فهمه من خلال ثلاثة محاور رئيسية:

1. التربية وجذرها اللغوي "الرَّبّ"

ترتبط كلمة التربية بجذر "ربَّ" الذي يدل على السيادة والتنمية والتدبير، فاسم "الرب" من أسماء الله الحسنى ومعناه المُنمِّي والمُدبِّر والقائم على شؤون خلقه. ومن هنا كانت التربية في جوهرها عملية رعاية وتنمية وتوجيه للإنسان نحو غاياته العليا.

2. التربية بالرعاية والتأهيل

يُظهر القرآن الكريم أن التربية الحقيقية ترتبط بالعدالة والتوازن، وبالرعاية الشاملة لجوانب الإنسان كافة، وذلك من خلال آيات عديدة تُبيِّن أن الله سبحانه وتعالى هو المربِّي الأعظم، الذي أرسل رسله

بالهدى والبشارة والإنذار لتربية البشر وإصلاح شؤونهم.

3. التربية بالتدرُّج والاختبار

يؤكد القرآن الكريم أن التربية تتم من خلال التدرُّج والتجربة والابتلاء، قال تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾

(سورة البقرة: 155)

فالابتلاء أداة تربوية ربانية تُعلِّم الإنسان الصبر والثبات، وتُصقل شخصيته وتُرسِّخ قيمه في مواقف الحياة الحقيقية لا في أوقات الرخاء والدعة فحسب.

ثانيًا: المبادئ الأساسية المستنبطة من القرآن الكريم

بعد التأمل في آيات القرآن الكريم، يمكن استنباط جملة من المبادئ التربوية الكبرى التي يقوم عليها المنهج القرآني في تربية الإنسان:

1. التربية بالتدرُّج

يتدرَّج القرآن في التشريعات والتوجيهات مُراعيًا نمو الإنسان جسدًا وعقلًا ونفسًا، وهكذا تكون التربية متقدِّمة تتلاءم مع استعداد الإنسان ومراحل نضجه وقدرته على الاستيعاب والتطبيق.

2. التربية بالقدوة

يجعل القرآن القدوة أساسًا راسخًا في التربية، إذ يضرب لنا أمثلة من الأنبياء والصالحين ويأمرنا بالاقتداء بهم. قال تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

(سورة الأحزاب: 21)

3. التربية بالحوار والإقناع

يعتمد القرآن على الحوار كأسلوب أصيل في التربية، كما يظهر في آيات لقمان مع ابنه. قال تعالى:

> ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾
>
> (سورة لقمان: 13)

4. التربية بالابتلاء والتجربة

الابتلاء وسيلة تربوية قرآنية راسخة، وهو أداة لتكوين الشخصية المؤمنة وتعزيز الصبر واليقين على مواجهة الحياة بكل تحدياتها.

5. التربية بالعمل والتطبيق

يُلازم القرآنُ الإيمانَ بالعمل الصالح في مئات الآيات، مما يُجسِّد مبدأً تربويًا جوهريًا: لا تربية حقيقية بلا ممارسة فعلية وتطبيق ميداني، فالعلم الحقيقي هو الذي يتحوَّل إلى سلوك راسخ.

ثالثًا: خصائص التربية القرآنية

تتميَّز التربية القرآنية بجملة من الخصائص التي تجعلها منهجًا فريدًا لا نظير له:

- **الشمول:** تتناول الإنسان في أبعاده الروحية والعقلية والنفسية والاجتماعية جميعها.
- **التوازن:** لا تُفرِّط في جانب على حساب آخر، بل تُوازن بين متطلبات الدنيا والآخرة.
- **الواقعية:** تنطلق من طبيعة الإنسان وميوله وقدراته لا من مُثُل مجرَّدة بعيدة عن الواقع.
- **الاستمرارية:** التربية القرآنية رحلة تمتد طوال العمر لا حدثٌ آني ينتهي.
- **الهدفية:** تتجه نحو غاية عليا هي إعداد الإنسان الصالح لعمارة الأرض وعبادة الله.
- **التكامل:** تتضافر فيها جهود الفرد والأسرة والمجتمع في منظومة واحدة متناسقة.

يبقى القرآن الكريم المرجعية التربوية الأولى لبناء الإنسان المتكامل؛ فهو لا يُوجِّه الإنسان فحسب من خلال التوجيه والتقويم، بل يُعلِّمه كيف يُفكِّر وكيف يُقيِّم وكيف يُربِّي نفسه وأبناءه وجيله.

الباب الثاني

التربية عمليةٌ استراتيجية منسَّقة

التربية ليست لحظة عابرة، بل رحلة حياة تتضافر فيها جهود الجميع

التربية ليست عملية لحظية قائمة على أوامر صارمة نابعة من مشاعر سلبية عارضة، بل هي رحلة طويلة تمتد عبر مراحل الحياة كافة، وتتطلب تضافر جهود أطراف متعددة وتنسيقًا دقيقًا بينها. فالإنسان لا يتربَّى في بيئة معزولة مُغلَقة، بل يتأثر بمن حوله: في الأسرة والمدرسة والمجتمع على حدٍّ سواء.

وهذا المفهوم الاستراتيجي للتربية لا يتعارض مع التوجيه القرآني بل يتوافق معه تمامًا، إذ يتناول القرآن الكريم التربية من منظور شامل يستوعب كل المؤثرات والأدوار.

أولًا: أطراف العملية التربوية في ضوء القرآن الكريم

1. الأسرة: المدرسة الأولى

الأسرة هي اللبنة الأساس في بناء المجتمع، وهي البيئة التربوية الأولى التي يتشكَّل فيها وجدان الإنسان وقيمه. يقول الله تعالى:

> ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾
>
> (سورة التحريم: 6)

فالأبوان مسؤولان مسؤولية مباشرة عن توجيه أبنائهما وتربيتهم على القيم الإسلامية والأخلاق الحميدة. والتأثير الأسري في مرحلة الطفولة هو الأعمق والأرسخ في تشكيل الشخصية.

2. المدرسة والمعلم: الشريك التربوي

المدرسة امتداد طبيعي للأسرة في أداء مهمتها التربوية، والمعلم أمين على تربية الجيل وصياغة وعيه. وقد أعلى القرآن الكريم من شأن العلم والعلماء، إذ قال تعالى:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

(سورة المجادلة: 11)

3. المجتمع: الحاضنة الكبرى

المجتمع بمؤسساته ومرافقه وقيمه يُمثِّل الحاضنة الكبرى للعملية التربوية. ويُقرِّر القرآن الكريم مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بوصفه واجبًا مجتمعيًا:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾

(سورة آل عمران: 104)

4. الإعلام والتكنولوجيا: المؤثر المتنامي

في عصرنا باتت وسائل الإعلام والتكنولوجيا الرقمية من أشد المؤثرات في تشكيل قيم الأجيال وتوجيه سلوكها؛ لذا يُلقي هذا الواقع مسؤولية إضافية على المربِّين في توعية الناشئة وتحصينهم وتعليمهم الانتقاء الواعي.

5. المؤسسات التعليمية والعلماء

تُؤدِّي المؤسسات التعليمية والدينية والعلماء دورًا محوريًا في توجيه الفكر وتصحيح المفاهيم وحفظ الموروث الحضاري الإسلامي؛ فهم يُمثِّلون حلقة وصل بين الأجيال ينقلون الحكمة التربوية من جيل إلى جيل.

ثانيًا: مراحل التربية عبر الحياة

تتطوَّر التأثيرات التربوية وتتبدَّل أوزانها النسبية بحسب مراحل عمر الإنسان، ويمكن رصد ذلك على النحو الآتي:

1. مرحلة الطفولة (0 - 12 سنة): سيادة الأسرة

الأسرة هي المُؤثِّر الأهم والأقوى في هذه المرحلة الحساسة؛ فالطفل في هذا السن يتلقَّى القيم والسلوكيات عبر المحاكاة والتقليد أكثر مما يتلقَّاها بالشرح والتعليم. ويدخل دور المدرسة تدريجيًا بالتوازي مع الدور الأسري.

2. مرحلة المراهقة (12 - 18 سنة): صعود الأصدقاء والمجتمع

في هذه المرحلة تتراجع سيطرة الأسرة نسبيًا ويتصاعد تأثير الأصدقاء ووسائل الإعلام والانتماءات الاجتماعية. ويحتاج المراهق إلى تعزيز التفكير النقدي وتحمُّل المسؤولية تدريجيًا.

3. مرحلة الشباب (18 - 30 سنة): التجارب والخيارات الحرة

تصبح التجارب الشخصية والخيارات الذاتية المصدرَ الأساسي للنمو التربوي؛ فالشاب يتأثر بقراراته ونتائج اختياراته في الدراسة والعمل والزواج والعلاقات الاجتماعية. وهذه مرحلة تحقيق الذات.

4. مرحلة النضج والشيخوخة (40 سنة فما فوق): التأمل والعطاء

تتصاعد التأملات الروحانية والدينية في هذه المرحلة، ويصبح الإنسان أكثر اعتمادًا على خبراته الشخصية في توجيه حياته. والأسرة تعود للتأثير لكن هذه المرة بشكل عكسي: يصبح الشخص هو المربِّي لأبنائه وأحفاده.

> ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ﴾
>
> (سورة الأحقاف: 15)

ثالثًا: التنسيق بين أطراف التربية

إن نجاح العملية التربوية يعتمد اعتمادًا جوهريًا على مستوى التنسيق والتكامل بين مختلف أطرافها. وفيما يلي جملة من المبادئ الكفيلة بتحقيق هذا التنسيق:

- **وحدة القيم والرسائل:** يجب أن تحمل الأسرة والمدرسة والمجتمع قيمًا متسقة غير متناقضة، لكيلا يجد الطفل تعارضًا مُربِكًا بين ما يتعلَّمه في البيت وما يراه في الخارج.
- **التواصل المستمر:** التنسيق بين الأسرة والمدرسة ليس أمرًا ثانويًا بل ضرورة تربوية لمتابعة نمو الطفل ومعالجة إشكالياته في وقت مبكِّر.
- **تقسيم الأدوار:** لكل طرف دوره الخاص المُكمِّل لأدوار الآخرين، ومن الخطأ أن تُلقِي الأسرة بمسؤوليتها كلِّها على المدرسة أو أن تتجاهل المدرسة الدور الأسري.
- **المرونة والتكيُّف:** التربية الناجحة تعترف بتنوُّع الشخصيات وتختلف في أساليبها بحسب طبيعة كل فرد واحتياجاته.

التربية مسؤولية مشتركة بين الأفراد والمؤسسات، وليست محصورة في شخص واحد أو جهة بعينها. ونجاحها يعتمد على التنسيق والتكامل بين هذه الأطراف لضمان بناء فرد متزن عقليًا وروحيًا وأخلاقيًا، قادر على الإسهام في عمارة الحياة وخدمة الإنسانية.

الباب الثالث

التربية بالتدرُّج
مبدأ أساسي في بناء الإنسان

التربية ليست عملية لحظية، بل هي بناء تدريجي يراعي نمو الإنسان في كل أبعاده

التربية ليست عملية لحظية تُنجَز في وقت قصير، بل هي بناء تدريجي يراعي نمو الإنسان جسديًا وعقليًا ونفسيًا. وقد اعتمد القرآن الكريم أسلوب التدرُّج في التشريع والتعليم والتربية، وجعله مبدأً أساسيًا في إعداد الفرد والمجتمع.

وتدرُّج القرآن في التشريع ليس نتيجة عجز أو محدودية، وإنما هو تعبير عن حكمة إلهية بالغة تُراعي طبيعة الإنسان وحدوده، وتعمل في انسجام تام مع سنن النمو والتطوُّر التي أودعها الله في الكون والنفس البشرية.

أولًا: مفهوم التربية بالتدرُّج في القرآن الكريم

التربية بالتدرُّج في القرآن الكريم تعني توجيه الإنسان نحو القيم والسلوكيات عبر مراحل متتابعة ومدروسة، بدلًا من فرضها دفعةً واحدة تجعل النفس تنفر وترفض. ويتجلَّى هذا المبدأ في أساليب متعددة:

1. التدرُّج في التشريع

أنزل الله القرآن الكريم منجَّمًا على مدى ثلاثة وعشرين عامًا، وكان هذا التنجيم في حد ذاته درسًا تربويًا بليغًا في أهمية التدرُّج. فالتحريمات الكبرى كتحريم الخمر والربا نزلت على مراحل لتُهيِّئ النفوس وتُعالجها بأناة ورِفق.

2. التدرُّج في التعليم

بدأ القرآن بالأسس قبل الفروع، وبالعقيدة قبل التشريع، وبالمبادئ الكلية قبل الجزئيات والتفاصيل. وهذا الترتيب ليس اعتباطيًا بل هو منهج تربوي متقَن يُرسِّخ البنية الفكرية والإيمانية قبل أن يُطالب بالتطبيق العملي.

3. التدرُّج في مخاطبة العقل

يبدأ القرآن بمخاطبة الفطرة والحواس والمشاعر، ثم يرتقي إلى مستوى التأمل العقلي، ثم يصل إلى أعمق درجات اليقين والاستسلام لله. وهذا التدرُّج يعكس فهمًا دقيقًا لمسارات النمو الإنساني.

> ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴾
>
> (سورة الإسراء: 106)

ثانيًا: فوائد التربية بالتدرُّج

1. مراعاة طبيعة الإنسان

الإنسان لا يستطيع استيعاب كل شيء دفعةً واحدة، بل يحتاج إلى مراحل ليتقبَّل الأفكار الجديدة ويتكيَّف معها. التدرُّج يتوافق مع هذه الحقيقة الإنسانية ويعمل معها لا ضدَّها.

2. ضمان ترسُّخ القيم والسلوكيات

القيم التي تتسرَّب إلى النفس تدريجيًا تترسَّخ فيها ترسُّخًا أعمق وأثبت من تلك التي تُفرَض دفعةً واحدة بالقوة أو الإلزام. فالتربية التدريجية تُحوِّل القيمة من أمر خارجي مفروض إلى قناعة داخلية راسخة.

3. التقليل من مقاومة التغيير

عندما يُفرَض التغيير بشكل صارم ومفاجئ تنشأ مقاومة نفسية طبيعية قد تتحوَّل إلى رفض كامل. أما التدرُّج فيجعل التغيير طبيعيًا وسلسًا تستقبله النفس بارتياح دون توتر أو صراع داخلي.

4. الاستفادة من الخبرات السابقة

كل مرحلة في التربية تُبنى على المرحلة التي قبلها، مما يُتيح الاستفادة من التجارب والتصحيحات اللازمة. وهذا يجعل العملية التربوية عملية تراكمية حقيقية لا مجرد تكرار لأحداث منفصلة.

ثالثًا: كيف نُطبِّق مبدأ التدرُّج في التربية اليوم؟

1. في تربية الأطفال

لا ينبغي أن نُعلِّم الأطفال جميع القيم دفعةً واحدة، بل بالتدرُّج حسب أعمارهم ومستوياتهم:

- **في سن الطفولة المبكِّرة:** التركيز على الحب والقدوة الحسنة وزرع الشعور بالأمان.
- **في سن التمييز:** توضيح المفاهيم الدينية والسلوكية بأسلوب بسيط وشيِّق.
- **في سن المراهقة:** تعزيز التفكير النقدي والتدريب على تحمُّل المسؤولية تدريجيًا.

2. في التعليم

يجب أن يكون التعليم تراكميًا، بحيث تُبنى المعلومات تدريجيًا بدلًا من إلقاء كمٍّ هائل من المعرفة دفعةً واحدة تُثقل الذاكرة دون أن تُنمِّي الفهم الحقيقي.

3. في إصلاح العادات السلبية

لا يمكن التخلُّص من عادة سيئة فورًا، بل يجب وضع خطوات تدريجية: تقليلها أولًا ثم استبدالها ببديل إيجابي ثم ترسيخ البديل حتى يصبح جزءًا طبيعيًا من الشخصية.

4. في الدعوة إلى الخير والإصلاح المجتمعي

يجب أن يكون الإصلاح المجتمعي تدريجيًا: يبدأ بالأساسيات قبل معالجة التفاصيل، تمامًا كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته المباركة على مدى ثلاثة وعشرين عامًا.

التربية بالتدرُّج مبدأ أساسي في القرآن الكريم، وهو أسلوب ناجح في بناء الشخصية وتقويم السلوك؛ فإذا أردنا أن نُرَبِّي أجيالًا قوية واعية، فعلينا أن نُطبِّق هذا المبدأ في جميع جوانب التربية سواء في البيت أو المدرسة أو المجتمع.

الباب الرابع

التربية بالقدوة
أساس بناء الشخصية

الناس يتأثرون بما يرون أكثر مما يسمعون؛ فالقدوة هي أقوى وسائل التربية

التربية ليست مجرد أوامر وتعليمات تُصدَر وتُملَى، بل هي عملية يعيشها المتربِّي من خلال مشاهدته للنماذج الواقعية؛ لهذا جعل القرآن الكريم القدوة أساسًا في بناء الإنسان والمجتمع، إذ ضرب لنا أمثلة عظيمة من الأنبياء والصالحين، وجعل سلوك الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم نموذجًا يُحتذى به في كل زمان ومكان.

أولًا: مفهوم التربية بالقدوة في القرآن الكريم

التربية بالقدوة تعني أن يكون المربّي نموذجًا عمليًا يُحتذى به في الأخلاق والسلوك. فالإنسان يتأثر أكثر بالأفعال التي يراها من الأشخاص المؤثّرين في حياته، أكثر بكثير من الكلمات التي يسمعها. وقد أرسى القرآن الكريم هذه الحقيقة التربوية في آيات صريحة:

> ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾
>
> (سورة الأحزاب: 21)

فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس مجرد معلِّم بالتنظير والكلام، بل هو نموذج عملي حي في كل جوانب الحياة: في العبادة والأخلاق والمعاملة والقيادة والأسرة والاجتماع.

ثانيًا: أمثلة على التربية بالقدوة في القرآن الكريم

1. النبي محمد صلى الله عليه وسلم: القدوة الكاملة والنموذج المتكامل

- **في الصدق والأمانة:** حتى قبل البعثة كان معروفًا بالصادق الأمين، وهذا جذب الناس إلى الإسلام قبل أن ينطق بحرف واحد من الدعوة.
- **في الرحمة والتسامح:** عندما دخل مكة فاتحًا عفا عن أهلها رغم إيذائهم له طويلًا، وقال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء."
- **في العبادة:** كان يقوم الليل حتى تتورَّم قدماه، مما يُرسِّخ في النفوس أهمية العبادة وجمالها.

2. النبي إبراهيم عليه السلام: قدوة في الإيمان والتضحية

كان إبراهيم عليه السلام نموذجًا فريدًا في الإيمان والتوكل، إذ قال عند إلقائه في النار:

> ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾
>
> (سورة آل عمران: 173)

وكان قدوةً في التضحية والطاعة حين استجاب لأمر الله في ذبح ابنه إسماعيل، فكان درسًا خالدًا في الامتثال لأوامر الله.

3. النبي يوسف عليه السلام: قدوة في العفة والصبر

عندما راودته امرأة العزيز عن نفسه رفض وثبت على مبدئه قائلًا:

> ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾
>
> (سورة يوسف: 23)

ليكون قدوةً في حفظ الأمانة والعفة. وصبره على الظلم والسجن يُعلِّمنا أن الابتلاءات ليست نهاية الطريق بل ربما تكون بداية الفرج.

4. أم موسى عليه السلام: قدوة في التوكل على الله

عندما خافت على ابنها الرضيع وضعت ثقتها بالله وألقته في اليمّ كما أمرها الله، فجاءها الوعد الإلهي:

> ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾
>
> (سورة القصص: 13)

وهذا النموذج يُعلِّم الوالدين الثقة بالله والقدرة على مواجهة الأزمات بالتوكل والدعاء.

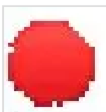
5. لقمان الحكيم: قدوة في التربية الحكيمة

قدَّم لقمان نموذجًا رائعًا في تربية الأبناء بالحكمة والموعظة الحسنة، كما في قوله تعالى:

> ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾
>
> (سورة لقمان: 17)

واستخدم لقمان أسلوب القدوة واللين بدلًا من القسوة والإكراه في النصح والتوجيه.

ثالثًا: تطبيقات عملية للتربية بالقدوة



التربية بالقدوة في المحيط الأسري والاجتماعي

1. في الأسرة

الوالدان هما القدوة الأولى لأبنائهما على الإطلاق:

- إذا أردت أن يكون ابنك صادقًا، كن أنت صادقًا أمامه أولًا.

- إذا أردت أن يحترمك ابنك، عامله باحترام أمام الآخرين.
- لا تأمر ابنك بالصلاة وأنت لا تُصلّي، فالطفل يتعلَّم بالفعل أكثر مما يتعلَّم بالقول.
- الأخ الأكبر قدوة لإخوته الصغار، فإذا كان مجتهدًا في دراسته سيتأثر إخوته بسلوكه تلقائيًا.

2. في المدرسة

المعلم قدوة للتلاميذ يؤثِّر فيهم بشكل قد لا يدركه هو نفسه:

- لا يمكن للمعلم أن يطلب من تلاميذه الانضباط إذا كان هو نفسه غير منضبط في مواعيده.
- يجب أن يُظهر احترامه للطالب حتى يتعلَّم الطالب منه قيمة الاحترام المتبادل.
- المعلم الذي يُحبُّ العلم ويُظهر شغفه به يُوقِد في طلابه شعلة الفضول والبحث.

3. في المجتمع

القادة والشخصيات العامة قدوة للناس سواء أرادوا ذلك أم لم يريدوا:

- إذا كان الحاكم عادلًا انتشر العدل في المجتمع وشعر الناس بالاطمئنان.
- إذا كان المدير في العمل ملتزمًا التزم الموظفون بدورهم.

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهمية الصحبة الصالحة بقوله:

> "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل."
>
> (رواه أبو داود والترمذي)

رابعًا: كيف نُرسِّخ التربية بالقدوة في حياتنا؟

1. **ابدأ بنفسك:** لا تأمر الآخرين بشيء وأنت لا تفعله، فالتغيير الحقيقي يبدأ من الداخل.
2. **اختر قدوتك بعناية:** تأثَّر بالناجحين في الأخلاق والعمل، وليس فقط بالمشاهير دون تمييز أو تدقيق.
3. **اجعل أفعالك تتحدَّث عنك:** أظهر الأخلاق الحميدة في مواقف الحياة اليومية العادية لا في المناسبات فحسب.

4. **شجِّع على الاقتداء بالنماذج الإيجابية:** في البيت والمدرسة والعمل، أبرز القدوات الصالحة وسلِّط عليها الضوء.

5. **تجنَّب التصرُّفات المتناقضة:** لا تقل للطفل "لا تكذب" ثم تكذب أمامه، فهذا التناقض يُفسد التربية من جذورها.

القرآن الكريم يُؤكِّد أن القدوة هي أقوى وسيلة تربوية، لأن الناس يتأثرون بالمشاهدة أكثر من الاستماع. فإذا أردنا أن نُؤسِّس جيلًا صالحًا فعلينا أن نُقدِّم له نماذج حقيقية للالتزام الأخلاقي والإنساني، نماذج تعيش قيمها ولا تكتفي بالحديث عنها.

الخاتمة

- - -

وهكذا نكون قد استعرضنا في هذا الكتاب أربعة أبواب متكاملة تُقدِّم رؤية قرآنية شاملة في التربية، رؤية تنبع من كتاب الله العزيز، وتُعبِّر عن حكمة إلهية بالغة في بناء الإنسان والمجتمع.

ونستطيع أن نُلخِّص الدروس الكبرى التي خلص إليها هذا الكتاب في النقاط الآتية:

- **التربية في القرآن منهج متكامل** يجمع بين التنظير والتطبيق، وبين الغاية الروحية والمتطلبات العملية، ولا يمكن اختزاله في جانب واحد دون الآخر.
- **التربية عملية مستمرة** لا تنتهي بمرحلة دراسية أو سن معيَّن، بل تمتد طوال الحياة وتتشكَّل بتشكُّل التجارب والمواقف.
- **التدرُّج سنَّة إلهية** في التربية والتشريع والتكوين؛ فمن خالفها أضرَّ بمن يُريد تربيته، ومن اتَّبعها سلك الطريق القويم إلى قلوب المتربِّين.
- **القدوة أقوى من الكلام** في كل زمان ومكان؛ فما يراه الطفل يُشكِّله أعمق مما يسمعه، وما يلمسه في سلوك المربِّي يغرس في نفسه جذورًا أثبت مما يُحفَظ من دروس ومحاضرات.
- **التربية مسؤولية جماعية** تُناط بالأسرة والمدرسة والمجتمع والمؤسسات جميعها، وتنجح حين تتنسَّق هذه الأدوار وتتكامل، وتفشل حين تتنافر أو تتعارض.

إن الأمة التي تُحسن تربية أبنائها على مبادئ القرآن الكريم تبني للمستقبل أجيالًا لا تنهزم؛ أجيالًا تحمل في قلوبها الإيمان وفي عقولها العلم وفي سلوكها الأخلاق وفي مسيرتها الصبر والثبات.

وإن رسالة هذا الكتاب لا تنتهي بين دفَّتيه بل تبدأ حين يُغلقه القارئ ويُقرِّر أن يُطبِّق ما قرأ في بيته ومدرسته وعمله؛ لأن التربية القرآنية لا تُقاس بالمعرفة النظرية بل تُقاس بالتغيير الحقيقي في حياة الناس وواقعهم.

ونسأل الله العلي القدير أن يُبارك في هذا الجهد، وأن يجعله ذخرًا لصاحبه يوم القيامة، وأن ينفع به كل من قرأه وتدبَّره. والحمد لله رب العالمين.

*　　*　　*

المؤلف

عبد الخالق نتيج

1446 هـ / 2025 م